جمهورية مصر العربية
وزارة الثقافة
الإدارة المركزية للعلاقات الثقافية الخارجية

موقع الثقافتين المصرية والمغربية من الثقافات العالمية

العلاقات المصرية المغربية

الندوة الرابعة - القاهرة

موقع الثقافتين المصرية والمغربية
من الثقافات العالمية

العلاقات المصرية المغربية

الندوة الرابعة

من ٣١ يناير إلى ٢ فبراير ١٩٩٤

القاهـرة

إعـداد

الدكتور أحمد عبد الحليم عطيه

جمهورية مصر العربية
وزارة الثقافة
الإدارة المركزية للعلاقات الثقافية الخارجية
إدارة الإعلام الخارجى

إصدارات بريزم

٤٤ ش المساحة الجيزة ـ مصر

الاشراف الفنى

محمود القاضى

تجديد الفكر الإسلامى فى المغرب
عبد الله كنون نموذجا

د. يوسف الكتانى*

تمتاز العلاقات المغربية المصرية بقواسم مشتركة، ووجهت مسيرة البلدين ، ووحدت أهدافهما ، وربطت حياتهما برباط أزلى عبر تاريخهما ، وكان فى صدارة تلك القواسم الاسلام ، واللغة العربية ، والتراث المشترك ، بالاضافة إلى أمرين هامين منحاهما مركزاً حساسا متميزاً فى العالمين العربى والإسلامى :

أولهما : الموقع الممتاز لكل منهما بإعتبار مصر البوابة الشرقية لأفريقيا فى العالم العربى، وبإعتبار المغرب البوابة الغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط والمطلة على المحيط الأطلسى.

ثانيهما : وجود جامعتين إسلاميتين عريقتين فى كل منهما ، ربطتا الجسور بينهما من جهة ، وبين العالمين العربى والإسلامى من جهة أخرى ، هما جامعة القرويين وجامعة الأزهر الشريف اللتين

---

* رئيس شعبة التفسير والسنة والأصول كلية الشريعة ـ جامعة القرويين .

كانت ومازالتا مصدر الاشعاع الدينى والفكرى للعالمين العربى والإسلامى خلال تاريخنا المجيد .

وإذا كانت الامة الإسلامية تفتخر بوجود جامعة القرويين على راس جامعاتها ، باعتبارها الجامعة الام الرائدة ، إذ تاسست سنة 859/245 ، ثم تلاها باكثر من قرن من الزمان تاسيس الأزهر الشريف سنة 973/358 ، اى قبل ظهور اقدم جامعة فى أوروبا بنحو مائتى عام، مما دفع «دلفان» إلى التصريح (بأن القرويين أول مدرسة فى الدنيا ، منه انتشرت الثقافة الإسلامية ، والحضارة العربية فى ديار العرب والمسلمين ، وإفريقيا والأندلس) (١) .

وهكذا غدت القرويين بعد فترة يسيرة من قيامها ، قلب المغرب النابض ، وعقله المفكر ، وعينه المبصرة ، كما وصفها ابن أبى الصبر، ومجمع علمائها وفقهائها ، ومصدر نبوغها ، وشهرتها ، وموجه حياتها ، ومصدر إشعاعها ونفوذها ، وموئل خيرها وفضلها.

وبانها اهم جامعة واقدمها (٢) كما اعترف بذلك المؤرخ روم لاندى ، وبانها اقدم مدرسة وكلية علمية فى العالم (٣) كما وصفها البروفيسور كريستوفيتش منهم على سبيل المثال : أبا عمران الفاسى (ت 430هـ) الذى استطاع أن يستقطب القيروان فى العصر الزيانى ، ويصبح شيخها الكبير ، وراس علمائها وقضاتها (٤) وأن يحظى عبد الواحد المراكشى فى البلاط العراقى بالمكانة المتميزة والرعاية السامية، ويرحل إلى مصر ، ويقيم فيها ، ويستقر بها ، ويضع بها كتابه القيم ، المعجب فى العصر الموحدى ، ويصبح الشيخ أحمد

---

(١) انظر كتاب دلفان «فاس وجامعتها ص 12 .
(٢) رسالة المغرب - الرباط 11 يونية 1951.
(٣) مجلة الهلال المصرية س1 ع 11 يوليوز 1893ص 356 . جامع القرويين عبد الهادى التازى 1/511.
(٤) النبوغ المغربى عبد الله كنون 52/1 و 53 .

زروق (ت سنة 899هـ) شيخ الصوفية وقطب العلماء فى طرابلس (١) ويغدو الحسن الوزان (ليون الأفريقى) قطب الجامعة الإيطالية ، ويحظى بتقدير أساتذتها وأعلامها ، إلى غيرهم من العلماء الذين كانوا رسل جامعة القرويين ووسائلها فى التجديد والإنبعاث ، سواء منهم المقيمون فى رحابها ، أو الذين انبثوا عن طريق الحج والرحلة يعلمون ويفيدون ، ويهدون ويوجهون أو عن طريق الآلاف من الطلبة الذين استقطبهم الجامعة العتيدة من شتى أنحاء العالم، ممن كان لهم دور متميز فى بلادهم، بما نقلوا إليها من فكر وثقافة وعلم ، وقيم ومبادىء، كان لها الدور الأكبر فى نهضة بلادهم وتوعيتها وتقدمها (٢) .

ويهمنى هنا فى هذه الندوة الرابعة بالذات ، الدور الاشعاعى البارز المتميز الذى قام به علماؤنا المعاصرون لا فى المغرب فحسب، بل من الذين أسعفهم الحظ فشملت أنشطتهم وإشعاعهم المغرب ومصر، وعاشوا فترة مهمة من حياتهم فى ربوعها ، أو ساهموا فى أنشطتها ، ومؤسساتها العلمية والفكرية ، اقتصر منهم على نموذج متميز متفرد فى تاريخ المغرب السياسى والفكرى ، كانت له علاقة متصلة بمصر ، ومشاركة فاعلة فى مؤسساتها العلمية ، وبما كان له من جليل الأعمال ، وقدم فى الجهاد ، ونبوغ فكرى ، ولما كان له من دور متميز صادق فى إحياء وترشيد مسيرتها ، فى فترة تعتبر دقيقة وحرجة لا فى المغرب فحسب بل فى كل العالم الإسلامى ، ذلكم هو العالم الجليل والمفكر الكبير الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله .

عبد الله كنون : حياة حافلة 1908/1326 1389/1408

اثرت فى البداية أن أورد لكم الترجمة الذاتية المركزة التى كتبها الأستاذ عبد الله كنون عن حياته بقلمه قال : الخط والصورة

(١) انظر مدرسة الامام البخارى فى المغرب للكاتب 243/1 و 244 .
(٢) المصدر السابق 154/1و 155 .

والمعلومات عناصر أكثر من كافية للتعريف بأى شخص كان، وإذا لم يصح اختصار الخط ولا الصورة ، فلعلنا لا نخل بشرط (دار الرفاعى للنشر) إذا اقتصرنا على أهم المعلومات ، فالكاتب ولد عام 1908/ 1326 بمدنية فاس ، وانتقل ـ وهو صبى ـ مع أسرته إلى مدنية طنجة عند فرض الحماية الأجنبية على المغرب ، وكانت الأسرة تنوى الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون ذلك، ودرس بطنجة على والده السيد عبد الصمد كنون وعلى غيره من كبار العلماء ، وبدأ بالكتابة ونظم الشعر وهو طالب ، واشتغل بالتعليم وعمل فى الحركة الوطنية وكتب فى الصحف ، وظهرت كتابته الأدبية فى مجلة الرسالة فى سنواتها الأولى ، وألف عدة كتب فاق المطبوع منها الآن 40 كتابا ما بين دراسات أدبية وإسلامية ، وتحقيق بعض كتب التراث ، إلى أعمال إبداعية شعرية ونثرية ، وأسندت إليه وظائف إدارية وحكومية ، وأنتخب عضوا فى المجامع العربية ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة ، وهو أمين عام رابطة علماء المغرب ، وعضو أكاديمية المملكة المغربية ، وفى مجلس الوصاية على العرش ، ويحمل وسام الكفاءة الفكرية المغربى من الدرجة الممتازة ، ووساماً علمياً تونسياً ، ورضى الله أقصى مراده» (١) .

وهكذا نجد عبد الله كنون لم يتعلم فى مدرسة نظامية ، ولم يلتحق بجامعة من الجامعات ، بل اعتمد فى تعلمه على والده وغيره من شيوخ عصره ، وكون نفسه بنفسه وخاصة بالنسبة للثقافة العامة، إذ كان دوماً متطلعاً إلى التوسع فى المعرفة ، تدفعه همته القوية ، حتى كان يقرأ أحياناً كتابين فى اليوم الواحد ، ويطلع على ما يصدر

(١) الاحياء ـ مجلة رابطة علماء المغرب ـ مقال الدكتور عبد الهادى التازى ـ العدد الاول من السلسلة الجديدة ص 31-32 و 1992 .

من ترجمات منقولة من لغات متعددة ، وعلى المجلات العربية ، إلى أن تفتحت أفكاره ، وغزر علمه ، وصار على إطلاع تام على الحركة الفكرية العلمية والثقافية ، واقتنع أن كثيراً من علومنا ومعارفنا ينبغى أن تقدم على نحو جديد ، وأن تقوم غير التقويم الذى كان مقنعاً لمن قبلنا ، والذى ينبغى أن يكون عقلانياً ، وعند ذلك انطلق ينظم الشعر ، ويكتب ويؤلف ، وينقل ما وصل إليه من مداركه ومعان بوضوح وصراحة ميزت أعماله كلها ، وطبعتها بطابعه الخاص المتميز ، كما صرح بذلك نفسه فى آخر حوار صحفى له بجريدة السياسة الكويتية (١) .

عبد الله كنون : الداعية المجدد

كان عبد الله ، من هذه الصفوة التى صنعت تاريخنا ، وقادت مسيرتنا وجهادنا ، هو واحد من هذه النخبة التى أختارها البارى تعالى لتكون رائدة الصحوة الإسلامية ، والنهضة المغربية ، وهو واحد من أولائك الرواد القلائل الذين أيقظوا ضمائر الأجيال ، وحركوا وجدانهم وبعثوا الحياة فى نفوسهم ، وفتحوا عيونهم على المخاطر المحدقة بهم ، من جراء تكالب الاستعمار على أوطاننا ، وتآمره على ديننا وتاريخنا ، وتراثنا وأصالتنا ، وهو أحد الذين حملوا راية التحدى للاستعمار ، والجهل والتأخر ، والظلم فى سبيل الحرية ، والعزة ، والعلو فى الأرض.

لقد كان المسلم الملتزم ، والعالم المتفتح ، والداعية الواعى ، والفقيه المجدد ، والرائد الكبير وكشأن كل داعية مصلح دخل معركة الجهاد من بابها الواسع ، إذ انخرط فى ميدان التربية والتعليم ،

---

(١) انظر نص الحوار كاملا فى كتاب عبد الله كنون بين التكريم والتابين ص24-27 .

وأنشأ مدرسة حرة للبنين والبنات لتكون قلعة للعروبة والإسلام ، ولتقاوم الغزو الفكرى والمد الاستعمارى ، ولتقضى على فكرة حرمان المرأة من التعليم ، ثم أنشأ بعد ذلك المعهد الإسلامى الحر لينشىء فيه رجال الغد ، الذين يحملون الأمانة ويؤدون الرسالة ، ومازال هذا الصرح الإسلامى قائماً إلى اليوم على المنهج الإسلامى الصحيح ، وبعد فترة اضطرته ظروف بلاده إلى الهجرة إلى مدينة تطوان وعمل بها مدرساً فى المعهد العالى ، فمديراً لمعهد مولاى الحسن للأبحاث ، وهو المعهد الذى أجدى على الحياة الثقافية تحقيقاً ونشراً وتأليفاً (١) ولم يشغله حقل التربية والتعليم وتكوين الأجيال ، عن معركة المصير ، بل بادر إلى جانب إخوانه الرواد لقيادة معركة الجهاد والنضال ، فكان عضوا مؤسساً للجمعية الوطنية الأولى ، ولكتلة العمل الوطنى ، ثم للحزب الوطنى ، حتى إذا استقل المغرب تفرغ للدعوة إلى الله ، واختار رابطة علماء المغرب تفرغ للدعوة إلى الله ، واختار رابطة علماء المغرب مجالاً لانطلاق عمله ، وقيادة حركة التجديد والإصلاح ، إذا أنتخب أميناً عاماً لها عند تأسيسها سنة 1961 ، وظل على رأسها يجدد انتخابه فى كل مؤتمر ، متفرغاً لأعمال الرابطة ونشاطها وصحافتها ومؤتمراتها إلى أن لقى الله .

لقد قام الإصلاح الدينى عند عبد الله كنون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمنافحة عن العقيدة الإسلامية ضد أهل البدع والمغرضين من مستشرقين وغيرهم ، وقد حدد هدفه فى هذا بقوله : إننى رجل دين بحق ، ولا أعنى أننى رجل عبادة وصلاح ، كما قد يفهم البعض فحسب بل إنى مصلح دينى ، أنبه على بعض البدع التى الصقت بالدين وليست منه ، وأشير إلى بعض الشوائب التى علقت بالتعاليم الدينية من جراء التعصب ، أو سوء الفهم وأثير الاهتمام

---

(١) «عبد الله كنون كان أمة، كان جيلا ، كان عصراً ، بحث منشور للكاتب .

بالتمسك بروح الدين ، وأنا لست متطفلا على هذا العمل ، فهو ميراث أبائى وأجدادى ، وهو عندى عقيدة ومنهج وسلوكه (١) .

مفهوم التجديد عند عبد الله كنون

يعتبر عبد الله كنون أن للتجديد فى الدين مفهوماً شرعياً مجدداً، ولذا يكون ضرورة لتدعيم كيان الوطن الإسلامى ، وبعث روح الحفاظ فى نفوس المسلمين ، والتجديد فى سائر مطالب الحياة ، لا معدى عنه لضمان بقاء الحضارة الإنسانية وازدهارها ، وهو فى الدين فكرة أصيلة من جملة تعاليم الإسلام التى جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم مصداقاً لقوله :

«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» (٢) .

ولذا اعتبر كنون تعريف «العلقمى» للتجديد والمجدد أجمع وأوضح ما قيل فيه :

«بأنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما ، وهذا يعنى أن يكون المجدد من أولى الأمر كعمر بن عبد العزيز، ليتأتى له حمل الناس على إتباع طريق الشرع ، وأمتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، على أن ذلك ليس بلازم فالمجدد وهو داعية دينى من الطراز الأول ، لابد أن يكون معه من وسائل الأقناع وطرق التبليغ ما يغنى عن النفوذ والسلطة ، وكم من مذاهب سياسية واجتماعية أنتشرت فى العالم قديماً وحديثاً، بفضل تجنيد أصحابها للتبشير والدعاية لها ، لذلك فنحن نرى أن أحسن ما يفسر به التجديد

---

(١) مجلة الفيصل العدد 137 يونيو - يوليوز 1988 لقاء مع الأستاذ كنون ص43-44.
(٢) رواه ابو داود فى سننه ، والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى فى المعرفة كلهم عن أبى هريرة.

هو ما جاء فى حديث النبى (صلعم)، يحدد مهمة علماء الدين الأولى ، التى تجعل منهم حراساً أمناء ، على ميراثة وميراث النبيئين من قبله ، وهو قوله : يحمى هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينهون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين (١) .

فهذا فى نظرنا هو عمل المجدد ، وهو مفهوم التجديد الذى تلتقى عنده أنظار العلماء كافة ، وقد حصره الحديث فى غايات ثلاث :

١- رد النصوص التى يحرفها الغلاة من أهل البدع إلى أصلها وفى ذلك رجوع بالدين إلى سماحته ونضارته ، ونفى لما ألصق به من بدع وأهواء.

٢- إبطال الدعاوى الكاذبة ، وفضح أصحابها الذين يلبسون الحق بالباطل ، وينتحلون أغراض المصلحين الدينيين ، وفى هذا تنزيه لدعوة الإسلام وإظهار لها بالمظهر الانق بها من السمو والكمال .

٣- دحض التأويلات الفاسدة التى يتخذها الجهال بحكمة التشريع ، ذريعة إلى نقض أحكام الشرع الحنيف كقول بعضهم : «إن الخمر إنما تحرم فى المناطق الحارة حيث نزل القرآن» وقول آخرين فى الربا الحرام «إنما هو الفاحشية وكقولهم فى تقنين الزنا ، إنه محافظة على الصحة العامة، وفى إباحة بيع المحرمات : «إنما تنمية لاقتصاد البلاد إلى غير ذلك مما دحضه منافحة عن شريعة الإسلام وضمان لبقائها نوراً وهدى للناس (٢) .

وقد أعتبر كنون عمر بن عبد العزيز على رأس المجددين فى الإسلام لاجماع الأمة على أنه المجدد الأول حتى عد من الخلفاء الراشدين ، وقال فيه : ثالث العمرين ، لما أحيا من سنة وأمات من

(١) رواه البيهقى عن إبراهيم بن عبد الرحمن ـ التمهيد 59/1 مشكاة المصابيح 82/1.
(٢) انظر تفصيل الموضوع فى كتاب «مفاهيم إسلامية» عبد الله كنون ص1-16.

بدعة ، وأظهر من عدل بعد عموم الجور ، ورد من اعتبار إلى المثل الإسلامية والأخلاق قال فيه كثير الشاعر :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف
بريا ولم تتبع مقاله مجرم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذى
فعلت ، فأضحى راضياً كل مسلم

ثم رأى أن المجدد فى عصرنا الحديث هو السيد جمال الدين الأفغانى ، الذى استطاع أن يوقظ الأمة الإسلامية من سباتها ، ودعاها إلى الاتحاد ومجابهة الخطر الداهم بقوة الايمان ، وكان يرى أن صلاح أحوال المسلمين بصلاح حال حكامهم ، ولذلك دعا إلى نظام الحكم الإسلامى الذى يعتمد السلطة والعدل ، مع شورى أهل الحل والعقد (١) ولذلك كان كنون كثيراً ما يردد فى كتبه ودعوته مقولة الامام مالك ، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها (٢) .

وينبغى ألا تبتعد الأمة الإسلامية عن مظلة القرآن الذى هو الحارس الحقيقى لها ولنا (٣) .

ومن هنا كان يرى أن العلماء المؤهلين للتجديد والقائمين به ، هم العلماء الذين اعتبرهم الدين ورثة الأنبياء فليس وصف العالم بمجرده مما يؤهله لهذه الوراثة بل لا يكون العالم أهلا لها حتى يعمل بما علم، ويجاهد كما جاهد الأنبياء والمرسلون ، ويؤذى فى سبيل الله كما أوذوا ، فقد قال مالك : «ما تم أحد يخاف عليه يوم القيامة أكثر من

---

(١) المصدر السابق ص 14 - 15..
(٢) أشداء وأنداء ، عبد الله كنون ص 20
(٣) المصدر السابق ص 148.

العلماء ، فقد بلغنى أنهم يسألون عما يسأل عليه الأنبياء . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : «ما أغبط أحد لم يصبه فى هذا الأمر الأذى.

إن مهمة العلماء ليست هى الدعوات وقراءة الفاتحة ولكنها توعية الجماهير ، وتقوية الشعور الدينى فى الأفراد والجماعات حتى تصبح قادرة على الاختيار ، وعدم الانسياق مع كل ناعق ، حتى يتكون رأى عام إسلامى أول ما يؤثر فى إيقاف التيارات الأجنبية التى تتلاعب بنا وتسخر منا (١) .

وقد شاء الله أن يكون عبد الله كنون من رجال الدعوة والإصلاح والتجديد فى عصرنا وفى مغربنا بخاصة وأن يكون فى الطليعة من القلائل الذين يدعون ويعلمون ، ويصلحون بوعى واتزان ، ودون إثارة ضجيج أو زوابع للإعلان عن أنفسهم ، أو اللجوء إلى اصطناع الأحداث وافتعالها من أجل ظهورهم ، ودون أن يضطر إلى حمل صليب يلفت إليه الأنظار ، أو تحطيم الموازين والمعايير ليقال إنه يطور ويجدد ، بل دأب يعمل وظل يدعو فى هدوء ، ويجاهد بالحسنى من أجل حرية الإنسان والوطن والفكر فى ظلال عقيدة الإسلام السمحة ، إلى أن لقى الله وهو يحمل مشعل النهضة ، مبشراً بالصحوة الإسلامية ، مثبتا بعالمها ، وداعيا إلى إنجاحها ، مبتهجاً بآثارها المتمثلة فى هذه الصفوة من شباب الإسلام ، الذين بادروا إلى الالتزام بقيمه والتمسك بمبادئه ، والعمل من أجل سيادته وحكمه ، وتلك آية نبوغه ، وعلامة صدقه وإخلاصه ، ومن هنا انطلق عمل كنون الداعية من الثورة الهادئة للقضاء على الجمود والخمود ، ومحارب التقليد والجحود ، وذلك فى مثابرة عز نظيرها ومصابرة قل مثيلها زاده فى ذلك طاقة جبارة من الإيمان والعزيمة ، والنشاط والشجاعة ،

---

(١) تحركات إسلامية ، عبد الله كنون ص252 و 253 .

والالتزام بهدى الإسلام ، وإتباع أسلوبه فى الدعوة التى تقوم ، على الدفع بالتى هى أحسن ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالحسنى والرفق ، وقد كان يتبع فى دعوته وتبليغه وتقويمه للأوضاع اسلوب الحوار والنقاش المبنى على الأقناع العقلى ، بالمقارنة والتمثيل بحياة الشعوب ، وأحوال الناس كيف كانت عند الأمم الأخرى؟ وكيف يدعو إليها الإسلام؟ مستمداً من أحداث التاريخ وحقائقه ، معتمداً على المنطق والحجة فى الأقناع ، ميالا إلى التبشير والترغيب والإيجابية والاعتدال ، متوخياً الابتكار والتجديد ، والاستقلال فى الفكر والاستدلال ، داعياً إلى الرجوع إلى الأصول وفى مقدمتها الكتاب والسنة ، والفقه والاستنباط منهما لما يستجد فى حياتنا من وقائع ومسائل ، لأن ذلك مظهر حيوية الأمة الإسلامية وسر تطورها واستمرارها ، ومواكبتها للتاريخ وللحياة والمعاصرة .

وأخرى أحب أن أذكرها له هنا وهو أنه كان يقرن القول بالفعل ، ويجمع بين العلم والعمل ، ويتخذ من سيرة الرسول الأكرم وسلوكه النموذج الأرفع ، والمرآة الصادقة لما ينبغى أن تكون عليه حياة الداعية ، الذى ينبغى له التأسى به والاقتداء بفعله وسلوكه ، ليكون هو بدوره مثالا لمن يدعوهم ويوجههم ، وما أصاب المسلمين ما أصابهم من تخلف وتأخر ، إلا بهذه الإزدواجية التى فصلت الفعل عن القول ، والتى أنتجت انحراف الناس وفسادهم ، وتقاعس بعض الدعاة والعلماء عن واجبهم بهذا البيت الشعرى المعبر :

يا علمـــاء الدين يا ملح البلد

من يصلح الملح إذا الملح فســد

من هذا المنطلق الواضح ، وبهذا الأسلوب الحكيم الصريح ، تناول قضايا الامة ، ومشاكل المجتمع ، يدعو إلى العودة إلى الإسلام

واصوله ، ويوجه إلى تعاليمه وقيمه ، ويرشد إلى المحجة البيضاء ، والصراط المستقيم ويقوم ويصحح ما فسد من اعتقاد وسلوك واخلاق، بواسطة الحوار ، والرد والفتوى ، بالمقال ، والخطبة ، والبحث وغيرها .

وهكذا انصب جهده حول توضيح أركان الدين ومعالم الإيمان ، وقضايا المجتمع وفى مقدمتها المرأة وتحديد النسل أو تنظيمه ، ووسائل الإعلام ، وحدث الهجرة والمولد النبوى ، والسياسة ، والدين، والجنة والنار ، والبنك الإسلامى ، والحسبة وغيرها ، رابطا بين هذه القضايا وبين تطبيق الشريعة الإسلامية التى تملك وحدها الحلول الناجحة لها .

وسنجتزىء هنا ببعض أمثلة من آرائه فى بعض هذه القضايا ، تدليلا على منهجه فى التجديد والتغيير ، فقد كانت موضوعات كتبه وخاصة عناوينها دليلا عليه وعلامة له ، ومنها : منطلقات إسلامية ، وتحركات إسلامية ، ومعارك، والإسلام أهدى وغيرها ، وذلك كله وصولا لتحقيق المجتمع الأفضل وهو المجتمع الإسلامى ، إذ لا مجتمع أفضل منه خاصة وهو مما زال يحتفظ فى طياته ببذور صالحة للنمو وأرض خصبة لا ينقصها إلا حسن التعهد كلما اقتضى الحال ذلك ، كما يصرح فى مقدمة كتابه ، منطلقات إسلامية، ويرى ان أول خطوات الإصلاح هى الرجوع إلى الله مصداقا لقوله تعالى «إن إلى ربك الرجعى» ، ويعنى بالرجوع إليه : الإيمان بوحيه ، والعمل بما أمر به فعلا وتركا ، وذلك هو ما فطر عليه الخليقة لو لم تمل عن وجدانها السليم وان أول المعالم فى طريق الله هو الإيمان الذى لا يخالطه شائبة شركة فى الاعتقاد ، ولا فى العمل ، ثم تأتى الصلاة التى هى مظهر الايمان ، والتى امتازت من بين العبادات بأن الله فرضها فى السماء السابعة ليلة الاسراء والمعراج وتأتى بعدها

الفروض والأركان ، فهذا هو المنطلق الصحيح الذى يؤدى إلى القصد الصحيح وهو الصراط المستقيم ، كما عبر عنه القرآن والنبى الكريم عندما خط خطا وخط عن يمينه وعن يساره خطوطا وقال : «هذا سبيل الله وهذه سبل الشيطان ثم قرأ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (١) خاصة وأن المسلمين لم يؤتوا من النقل ، وإنما أوتو من التقليد ، والنقل يكون فيما ينفع ، والتقليد فيما يضر ، فعلينا أن نفرق بين الأمرين كما قال رحمه الله ، ومن ابتلى بترك السنن ابتلى بترك الفرائض ، ومن ترك الفرائض انخلع من ربقة الدين كما قال العلماء.

أما عن المرأة وقضاياها ومشاكلها التى نتجت عن التنكر لقيم الدين ، والابتعاد عن هديه ، والاغراق فى التقليد فيرى أن تعليمها وإحسان تربيتها منذ النشأة على مبادىء الاسلام السمحة ، هو أساس كل إصلاح من شأنه القضاء على أغلب المشاكل ، وفى مقدمتها إصلاح نظام الزواج بالرجوع إلى وصاية الأولياء ، فذلك ضمان له من كل انحلال أو انحراف عن القصد ، وهو لذلك يقترح اعتماد الفاتحة فى كتابه العقد، ولا سيما مع إشهارها فى المسجد أو البيت ، واجتماع الناس لها بعد الاختلاط الذى انتشر بين الجنسين ، ففى ذلك ستر للعورات ، واقالة للعثرات وفيه الرجوع إلى زواج السنة ، والتخفيف من قيود الفقهيات الثقيلة ، ويرى لذلك حذف النص الذى يلغى قراءة الفاتحة من المدونة ، واعتبارها بمثابة العقد.

ويغتنم فرصة انعقاد مناظرة المرأة المسلمة وامكانياتها فى التطور سنة 1977 ، فيرد على متداخلة طالبت بجعل مكتسبات الأسرة مناصفة بين الزوجين ، رادا الأمور إلى نصابها ، بأن مكتسبات

(١) سورة الأنعام ـ الآية : 15 .

الأسرة متأتية من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والأبناء والبنات ، فكيف يستبد بها الزوجان؟ ولماذا تحققت هذه المناصفة فماذا يبقى لبقية الورثة؟ ويرى ذلك خروجا على شريعة القرآن الذى نظم الميراث وحدده، وبين نصيب كل فرد بما فيه مصلحة المجتمع.

كما يرى أن التنظيم أو التخطيط العائلى بائقة استعمارية ومؤامرة فى حق المجتمعات الإسلامية ، ويعيب على تشبيه مجتمعاتنا بالمجتمع الأمريكى أو اليابانى أو غيرها ، فذلك تشبيه مع الفارق ، لأن هذه المجتمعات بلغت من الثقافة والتعليم ما لم نصل إليه.

ويرد على المطالبين بإلغاء نظام تعدد الزوجات عن طريق بيان مزاياه ومحاسنه وحدوده ، ويبين أسبابه ودواعيه من حروب وأمراض وظروف اجتماعية ، ضاربا الامثلة بما وقع لألمانيا وغيرها إثر الحرب العالمية ، وما نتج عن ذلك من انحلال وفوضى فى المجتمعات من جراء تفشى الزنا والأمراض وغيرها ، نافيا أن يكون هناك علاقة بين ازدياد المواليد وبين التعدد ، موجها بأن المعركة ينبغى أن تتجه إلى التنمية العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، وتخصيص خير من الدوران فى حلقة مفرغة .

وهو لا ينسى هنا قضية زواج فتيات المسلمين من اليهود والنصارى ، وينعى على المسؤولين سكوتهم المتوالى ضارباً المثل بمدينة واحدة بلغ عدد الفتيات المتزوجات باليهود والنصارى أكثر من مائة وخمسين فتاة داعيا إلى العودة إلى تطبيق الشريعة ، فذلك وحده هو الأجدى لحل مشاكل مجتمعاتنا ، التى لم تعرف مثل هذه المشاكل إلا عندما ابتعدت عن قيم الدين وتعاليمه .

ويحمل وسائل الإعلام وفى مقدمتها الاذاعة التبعة عندما تنقل احاديث وحوارات تحمل آراء ضد الشريعة ، ويعتبرها مسؤولة عن

ترويج ذلك، مما يخالف نظام حكمنا الإسلامى كما هو منصوص فى الدستور ، لكون الاذاعة منبر الشعب لا يجوز أن يذاع منها إلا ما هو متفق مع الإسلام ، لارتباط نظامنا بديننا باعتبار الملك حامى حمى الوطن والدين.

خطواته التجديدية والاصلاحية:-

ويمكننا أن نحصر الجوانب التى أنصبت عليها دعوته الاصلاحية:

- محاربة البدع : تسفيه ومقاومة دعاوى الفرق الضالة وبدعها، وبيان مروقها من الدين وفى مقدمة هؤلاء البهائية وقد سجل ذلك فى كتاب «معارك» (١) .
- محاربة المحرمات : فقد ناضل فى مقالاته وكتبه ضد البدع والمحدثات والمحرمات التى تفشت فى عالمنا الإسلامى وكان فى مقدمتها الخمر التى انتشرت فى المجتمع انتاجاً وبيعاً وتعاطياً ، وكذا تعامل المسلمين بالربا ، وتفشى الرشوة ، والفساد ، والنفاق ، وغيرها من المحرمات .
- إصلاح التعليم : وتضمنت دعوته فى هذا المجال :
  - إصلاح التعليم الدينى
  - تعريب التعليم
  - توحيده

(١) انظر كتاب معارك ، لمن تدق الأجراس ص262 وما بعدها .

اصلاح التعليم الدينى عند كنون

يعتبر الأستاذ كنون من اكبر المنافحين والمحامين عن التعليم الدينى فى المغرب ، خصوصا فى فترة بداية الاستقلال ، وهى الفترة التى عرف فيها هذا النمط من التعليم ازمة خانقة كادت أن تعصف به، وتعتبر جامعة القرويين على راس المؤسسات التعليمية الأصلية التى حظيت بإهتمامه ، فقد دعا إلى اصلاحها وتحديثها شأن باقى المؤسسات العصرية التى تنافسها ، حتى تستعيد دورها الاشعاعى الذى لعبته فيما قبل ، خاصة وقد حاول الاستعمار سد أبوابها ، وتحجيم دورها ، حتى لا تنطلق كما كانت وكما أكد ذلك ، بيكى» فى كتابه (المغرب) الصادر عام 1920 حين قال «لقد احتفظت الحماية دون تردد بالتعليم القائم فى هذه المساجد ، وعملت على ترميمه ، وعلى إعادة جامعة فاس إلى سابق إشراقها ، ومن المؤكد أنه من مصلحتنا ان لا يذهب إشراقها ، ومن المؤكد أنه من مصلحتنا أن لا يذهب المغاربة للبحث عن هذا النوع من التعليم (التعليم الإسلامى العالى) فى الخارج ، كالجامع المشهور جامع الأزهر بالقاهرة (١) .

وبدل أن يتحسن جهاز هذه الجامعة بعد الاستقلال ـ خصوصا وأن أغلب رواد الحركة الوطنية من خريجيها ـ نجدها تصل إلى قمة الانحطاط والتردى ، وتعرف ركودا وجموداً أكثر من أى وقت مضى ، نجده يقترح بعض المطالب الاصلاحية ، ويدخل فى «معارك» طاحنة مع المسؤولين عن التعليم ، وذلك قصد النهوض بالتعليم الدينى ، وجعله يساير العصر ، وهذا ما نقف عليه فى سلسلة المقالات التى نشرها تحت عنوان : «معركة القرويين والتعليم الدينى» والتى نشرها فى صحف ومجلات مختلفة وجمعها فى كتاب «معارك» (٢) .

---

(١) انظر كتاب «الدراسة الأدبية فى المغرب» الأستاذ عبد الله كنون نموذجاً «لأحمد الشايب» ص 247 - 248..

(٢) عبد الله كنون : معارك ، ص 198.

١- ضرورة الاعتراف باستقلال جامعة القرويين ، وعدم تبعيتها لأية جهة أخرى.

٢- ضرورة تطعيم التعليم الدينى عموما بما يفتقر إليه من المواد الحديثة ، وعلى رأسها اللغات الأجنبية ، ودون المساس بروحه وجوهره وغاياته.

٢- وعدم إهدار الطالب القروى المتخرج من التعليم الدينى حقوقه ، وعدم مزاحمته فيما يستحقه من حقوق - بموجب الشهادات التى ينالها - من وظائف لاحق لغيره فى توليتها : «فالقضاء» ، والتعليم للغة العربية والعلوم الإسلامية ، والوظائف الرئيسية وكذا الإدارية فى وزارة الأوقاف ، ووزارة العدلية ، وغير ذلك كله من حق الطالب القروى ، وما انتزعت منه إلا لما وقع الحيف عليه، وجعلت السيادة للقانون الأجنبى على الشريعة الإسلامية التى هى شريعة البلاد، وقدم حملة شهادات الحقوق عل حملة الشريعة أنف الإسلام راغم. ونحب أن نشير إلى خصوصية تميز بها الفكر الإصلاحى عند الأستاذ كنون فأغلب القضايا الاصلاحية التى طرحها فى مقالاته ، تسعى إلى التأكيد على عروبة وإسلام المغاربة ، فأى إصلاح كيفما كان نوعه ، لا يمكن أن يتم إلا فى إطار هذه الثنائية : (عروبة ، إسلام) وهذا الالتحام والتكامل بين العروبة والإسلام هو ما يميز الفكر الاصلاحى عند الاستاذ كنون ، وعند سائر السلفيين المغاربة ، بالمقارنة مع الفكر النهضوى فى المشرق بسبب حضور العاملين السابقين (١) .

ثم يجعل الأستاذ كنون رايه فى التجديد والإصلاح المطلوب اليوم قائلاً : فإذا كان هناك من تجديد للمفاهيم الإسلامية ، وتطبيق

---

(١) الدراسة الأدبية فى المغرب : الأستاذ عبد الله كنون نموذجاً ص252 و 253 .

دعوة الإسلام ، فإمنه يتمثل أولا فى التقديم اللائق بسمو هذه القواعد وعظمتها ، والتكيف بروح العصر ومقتضيات التطور الحديث، لا فى التعفية على الآثار والمعالم ، وطمس المنارات والصوى.

على أنه لابد من الأخذ والعطاء ، وعطاؤنا لا يكون إلا من هذا الرصيد الروحى الإنسانى الذى نتوفر عليه ، كفاء ما نأخذه من هذه الحضارة الغربية المادية ، فإذا أتلفناه فستبقى يدنا هى السفلى إلى الأبد.

ونحن إذ ندعو المسلمين إلى التمسك بدينهم ، إنما ندعوهم إلى إحياء السنن التى كانت سبب رقى أسلافهم ، وإماتة البدع التى أخرت خلفهم المتخلف ، وبذلك نحدوهم إلى التقدم المنشود ، من غير أن ينسلخوا من دينهم الحق ، كما فعل الغربيون الذين يقدتون بهم إذا انسلخوا من المسيحية المزيفة ، ولم يعوضوها بإتباع الصراط المستقيم (١) .

---

(١) مفاهيم إسلامية ص 9.